نكبة الفسابكة ونكبة البرامكة

احمد عمر

يبكي مشاهيرُ كثيرون مُلكهم الزائل في «فيسبوك» بكاء ذي القروح مُلك أبيه، وينعون حجب منشوراتهم، لقد «أمَم» الملك مارك الملكية، وختم بعض الحسابات بالشمع البرتقالي، وفرض على كثيرين من أمراء رعيته الإقامة الجبرية.

حدّرني صديقٌ، مبكّراً، من حُمّى «فيسبوك»، ومن بريق «اللايكات» الذي يذهب بالأبصار والأفئدة، والتي لم ينجُ من سحرها إلا أولو العزم، ورأيت أشرافًا من الناس يبوحون بأخصّ أسرارهم، حتى إنهم يجلون للعامّة نجوى النفس وحديث الروح، ويعرضون لهم أطعمتهم وصورهم مع أخصّ أهليهم، ويكشفون للناس ما لا يكشفونه للمخابرات تحت التعذيب، أو للكاهن السميحي في غرفة الاعتراف، إنّ هذا لهو البلاء المبين. صحيحٌ أننا كسبنا أصدقاء من بلاد بعيدة، لكننا خسرنا جيراننا ومعارفنا بعد أن كشفنا سرائرنا، وأظهرنا معتقداتنا السياسية والدينية، وكان الله قد ستّرنا، فالأرض في «فيسبوك» زلقة، والصفحة مغوية بالنشر، وإعجاب «فيسبوك» لا يروي الظمأ ولا يشفي الغليل، فهو مثل المياه المالحة، كلما ذقتَه طلبت المزيد. رأينا مرة صورة «الملكنا» في ديار فسبوك مارك وهو يزور مع أهله مزرعة أبقار، فعلق أحد الظرفاء، بقوله: يستمتع بالحياة الطبيعية ويبيعنا لايكات في البحر.

كان أهم أسباب انتصار الملوك المعاصرين ودوام مُلكهم هو معرفة أسرار شعوبهم، وقد اطّلع مارك وجيشه من العاملين في فيسبوك على أخصّ أسرار رعيته على العام والخاص من غير تعذيب في مسالخ السجون، أو مغفرة في غرف الاعتراف، فنحن نعرضها على الناس متطوّعين من أجل حفنة لايكات لا طعم لها، وإن كان لها ألوان كثيرة، بل إنّ تقارير إخبارية أميركية ذكرت أنّ مارك باع بيانات رعيته في الانتخابات الأميركية، بل بلغ من قوة وسائل التواصل الاجتماعي أنها أزرَت بالصحف، فكسدت بضاعتها. وكانت سوق «فيسبوك» من أشيع وسائل التواصل الاجتماعي في سورية ومصر، فالصحف تقدّم مقالات رصينة وطويلة، وتنتظر أياماً للتحقّق من مصدرها وصدقها، بينما تعرض «فيسبوك» أخبار الناس في حينها، وتنشرها حيّة نابضة، وأكاذيب كثيرة، من غير انتظار وتحقيق وأختام وتواقيع، ما جعل أخبار الصحف قديمة. «فيسبوك» جريدة واسعة بلا صفحة أولى أو أخيرة، وتعرض على المتسوّق مقابل وقته ملايين القصص، بل إنّ الكاتب لم يعد يُقرأ إلا بعد أن ينشر مقالته على «فيسبوك» أو «تويتر»، واستغنى الناس عن التلفزيونات الفضائية التي صارت مملة، وما لبثنا إلا قليلاً حتى تقوّضت عروش فسبوك أيضاً، فباتت سوقاً قديمة، وانحسر مُلك مشاهيرها، فصدق فيها الأثر القائل «ما رفع ألله شيئاً إلا وضعه»، وشكا أكثر نجوم «فيسبوك» الحجب وقطع الأرحام الافتراضية، وبناء الجدران العازلة، وهذا دأبُ الطغاة، فهم يريدون رعيةً أسيرة وشفافة مثل أسماك السرمان، يُرى حتى طعامها في بطنها، فنزح أكثر الناس منها إلى ديار جديدة، مثل إنستغرام وتيك توك ويوتيوب.. وهي أوسع، وأقل شرطة، وألطف أحكاماً عرفية، وأزكى قوانين طوارئ.

أما سبب إفراط الناس في المنشورات، فهو أنهم في وسائل التواصل كعُميان أو أشبه بالعميان. لا يرى الناشر الناس، ويرونه، فهو كالأعمى.. وقيل لأبي العيناء: وَيحك مَا أوقحك، فَقَالَ: أما علمت أنّ للحياء شَرَائِط ليست معي وَاجِدَة مِنْهُنَّ، قيل: فصفهن قَالَ: أولهنّ في الْعَيْنَيْن. فالمر ينشر على حسابه ما يشاء؛ طعامه والناس جياع، يسوق سيارته، يراقص زوجته، يشاتم خصومه، ولا يرتوي من الاستعراض، والتفاخر عياناً، وليس في «فيسبوك» أوراق توت للستر.

لقد حولونا إلى أطفال، نغضب بسرعة، نحبُّ بسرعة، ونكره بسرعة. وآن أوان الرحيل عن مرابع الطفولة في ديار «فيسبوك».

أَقفَرَ مِن أَهلِهِ فيسبوك/ وَكُلُّ مَن حَلَّها مَحروبُ.

أن تحافظ على طيبة القلب وتبتسم

عبد الحكيم حيدر

في هذا الصباح الطيّب، والذي ترى فيه قلبك طيّبا من غير سبب، وجميلاً من غير سبب، بعدما تعارك في يوميْه السابقين، كي يعتدل المركب، مركب الأيام، أو مركبك، مركب الذات في عالم يفيض، كل يوم، بالتناقض والهزائم والانتظار وسوء الفهم والنكران. ما الذي يجعل القلب فجأة يبدو مسروراً من غير سبب وبسيطاً أيضا، ويصفو الشاي، وترى الناس خفافا في الشارع. كيف يأتيها هذه العضلة ذلك الانشراح وتلك البساطة في صبح، هل حقا القلب هو ما تمتلكه من خيال يمشي معك، يمشي معك وأنت في حديقة ورد تسير به متناسيا الدنيا، ونظرك يأخذك في الصباح إلى هناك، إلى مركبٍ صغير وفقير وبائس في وسط النهر به صبي أو أكثر، والمركب من بعيد يعاند ويمشي وقُلبك يرصد المشهد الطيب من بعيد. يجلس القلب هكذا طيّبا في المقهى، وكأن لا حرب ولا يحزنون، ولا عنف، ولا عوز، ولا أذى، كيف يتكيّف القلب مع العالم، فيدخل حديقة الورد وهو يتمسّح في الفرح، ويدخل بالقلب نفسه مركز الشرطة، قلعة العقاب، وهو يتحايل على عقارب الساعة، ويعتبر القلب أن كل شيء مساكين، ولكنهم فقدوا الخيال.

هل القلب هو الذي يطيل أعمارنا حتى يهمد فيه الفرح تماما، ونطلب العون من الله وحده بأن نكون إلى جواره، لا في مقهى، ولا حديقة، ولا مركز شرطة، ولا سرادق عزاء، ولا بالقرب من النهر، ونرى هناك ذلك المركب الفقير الذي يعاند في سرقة الفرح من الماء والرزق من السماء.

القلب هذا الطيب فجأة في هذا الصباح يأخذك إلى ما لا كنتَ تحلم به. هل بالخيال وحده حقا نستطيع الوصول إلى العفو قبل ما نستطيع؟ قيل في الأثر: «ويل للشجي من الخلي»، فلماذا دائما يكون الخليّ مربوطا بوتد الدنيا وحبالها ويكون الشجيّ بخيالاته موضع الويل من الدنيا ومن الخلي أيضا، هل السياسات الجائرة تجور أيضا على نعمة الخيال؟ حينما تكون السياسة مجرّد حبائل منصوبة يضيق الخيال والوطن معاً، ما سر سماحة هذا الصباح مع صفاء ذلك الشاي، وخصوصاً وأنا أسمع ذلك العامل يكلم رجلاً بجواره وكأنه يكلم نفسه: «اليومين قليلين يا ابن عمّي». كنتُ قد أحببت أن أرى مدينة «إسنا» لا من أجل أي مصلحة، فقط لأنني رأيتُ شارعا يشبه شوارعنا زمان، تلك التي لم تعُد، وعلى المقهى كان الشاي رائعا، وذلك العامل الذي وكأنه يكلم نفسه، وجاره لا يعلق على كلامه، فقط كل أن يلتفت التفاتة صغيرةً له ويداعب عدة البناء التي بجواره، كنت لا أنتظر أي شيء، ولا أعرف ماذا كان ينتظر ذلك العامل ولا صاحبه. كانت شوارع إسنا أمامي في الصباح هادئة وتذكّرت صديقا لي من إسنا لها، وفي الوقت ذاته، خاضعة للتحكّم الدقيق، كي تبقى قواعد الاشتباك شديدة المرونة الوقت الصباح في كل شئ حتى نصيبه من الأكل ويقول كلماته العادية «بسيطة». كان السادات قد قُتل من شهور. وفي الصباح، في نهاية الخدمة (الحراسة الليلية)، يأخذ عبد الرحيم سلاحه وكتابه والطلقات، ويمشي هادئا إلى دشمته، يعدّ كوب الشاي ويطل من فوق الدشمة لأوائل الشمس والعصافير وهي تتشاكس، وأحيانا يأتي بقفات الفينو الناشف وينثرها للعصافير ويتبسم ويعاود قراءة الكتاب. قلتُ: هل من الممكن أن أراه فجأة بجواري يشرب الشاي في مقهى، جاءت العصافير، فعزّزت عندي ذلك الحلم، إلا أنني ظللتُ سعيدا خلال اليوم من دون أن أراه، وكنتُ قد نسيت ذلك العشم الخيالي كاملا في المساء، كنت أجلس بجوار النيل وأسأل نفسي أو خيالي: لماذا تصفو الروح تماما، بلا سبب ولمْ يتعكّر المزاج أيضا بلا سبب؟ كنتُ قد نسيتُ ذلك العامل تماما، ونسيتُ أيضا ذلك الشخص الذي يجلس أمامه ولا يشاركه إلا بنظرات قليلات ويتشاغل بعدّة البناء التي بجواره، فهل العصافير أكثر سعادة بالرزق من عمّال البناء، وهل كان عبد الرحيم زمان فوق الدشمة بالجيش يعرف سرّ سعادة العصافير حينما كان يأتي إليها بفتات العيش الفينو ويظل يبتسم حتى تطلع الشمس ويسلّم سلاحه «للسلاحليه» ويعود إلى الدشمة مبتسما.

بين إنجازات كرة اليد وإخفاقات كرة القدم في مصر

احمد طه

شهد الفضاء الرياضي المصري الأسبوع الجاري مشهديْن مُتناقضيْن كلّ التناقض في يوميْن متتاليين، ففي مساء السبت الماضي حقّق المنتخب المصري لكرة اليد لقب كأس الأمم الإفريقية للمرّة الثالثة على التوالي والتاسعة في تاريخه، بعد الفوز على نظيره الجزائري في المباراة النهائية في استاد القاهرة بنتيجة 29 – 21، بعدما قدّم المنتخب المصري عروضاً قويّة في مباريات البطولة، وبهذا يتأهّل المنتخب المصري ممثّلاً لإفريقيا، في أولمبياد باريس 2024 الصيف المقبل. وفي المقابل وفي اليوم التالي، ودّع المنتخب المصري لكرة القدم نهائيات كأس الأمم الأفريقية 2023 في ساحل العاج، بعد هزيمته مساء الأحد الماضي، في دور ثمن النهائي من منتخب الكونغو الديمقراطية بركلات الترجيح بنتيجة 7-8 بعد انتهاء الوقتيْن الأصلي والإضافي بالتعادل الإيجابي. وقد كان الخروج المُبكر للمنتخب المصري مُتوقعاً، لا بلغ من قوة وسائل التواصل الاجتماعي أنها أزرَت بالصحف، فكسدت بضاعتها. وكانت سوق «فيسبوك» من أشيع وسائل التواصل الاجتماعي في سورية ومصر، فالصحف تقدّم مقالات رصينة وطويلة، وتنتظر أياماً للتحقّق من مصدرها وصدقها، بينما تعرض «فيسبوك» أخبار الناس في حينها، وتنشرها حيّة نابضة، وأكاذيب كثيرة، من غير انتظار وتحقيق وأختام وتواقيع، ما جعل أخبار الصحف قديمة. «فيسبوك» جريدة واسعة بلا صفحة أولى أو أخيرة، وتعرض على المتسوّق مقابل وقته ملايين القصص، بل إنّ الكاتب لم يعد يُقرأ إلا بعد أن ينشر مقالته على «فيسبوك» أو «تويتر»، واستغنى الناس عن التلفزيونات الفضائية التي صارت مملة، وما لبثنا إلا قليلاً حتى تقوّضت عروش فسبوك أيضاً، فباتت سوقاً قديمة، وانحسر مُلك مشاهيرها، فصدق فيها الأثر القائل «ما رفع ألله شيئاً إلا وضعه»، وشكا أكثر نجوم «فيسبوك» الحجب وقطع الأرحام الافتراضية، وبناء الجدران العازلة، وهذا دأبُ الطغاة، فهم يريدون رعيةً أسيرة وشفافة مثل أسماك السرمان، يُرى حتى طعامها في بطنها، فنزح أكثر الناس منها إلى ديار جديدة، مثل إنستغرام وتيك توك ويوتيوب.. وهي أوسع، وأقل شرطة، وألطف أحكاماً عرفية، وأزكى قوانين طوارئ.

أما سبب إفراط الناس في المنشورات، فهو أنهم في وسائل التواصل كعُميان أو أشبه بالعميان. لا يرى الناشر الناس، ويرونه، فهو كالأعمى.. وقيل لأبي العيناء: وَيحك مَا أوقحك، فَقَالَ: أما علمت أنّ للحياء شَرَائِط ليست معي وَاجِدَة مِنْهُنَّ، قيل: فصفهن قَالَ: أولهنّ في الْعَيْنَيْن. فالمر ينشر على حسابه ما يشاء؛ طعامه والناس جياع، يسوق سيارته، يراقص زوجته، يشاتم خصومه، ولا يرتوي من الاستعراض، والتفاخر عياناً، وليس في «فيسبوك» أوراق توت للستر.

لقد حولونا إلى أطفال، نغضب بسرعة، نحبُّ بسرعة، ونكره بسرعة. وآن أوان الرحيل عن مرابع الطفولة في ديار «فيسبوك».

أَقفَرَ مِن أَهلِهِ فيسبوك/ وَكُلُّ مَن حَلَّها مَحروبُ.

نكبة الفسابكة ونكبة البرامكة

احمد عمر

يبكي مشاهيرُ كثيرون مُلكهم الزائل في «فيسبوك» بكاء ذي القروح مُلك أبيه، وينعون حجب منشوراتهم، لقد «أمَم» الملك مارك الملكية، وختم بعض الحسابات بالشمع البرتقالي، وفرض على كثيرين من أمراء رعيته الإقامة الجبرية.

حذّرني صديقٌ، مبكّراً، من حُمّى «فيسبوك»، ومن بريق «اللايكات» الذي يذهب بالأبصار والأفئدة، والتي لم ينجُ من سحرها إلا أولو العزم، ورأيت أشرافًا من الناس يبوحون بأخصّ أسرارهم، حتى إنهم يجلون للعامّة نجوى النفس وحديث الروح، ويعرضون لهم أطعمتهم وصورهم مع أخصّ أهليهم، ويكشفون للناس ما لا يكشفونه للمخابرات تحت التعذيب، أو للكاهن السميحي في غرفة الاعتراف، إنّ هذا لهو البلاء المبين. صحيحٌ أننا كسبنا أصدقاء من بلاد بعيدة، لكننا خسرنا جيراننا ومعارفنا بعد أن كشفنا سرائرنا، وأظهرنا معتقداتنا السياسية والدينية، وكان الله قد ستّرنا، فالأرض في «فيسبوك» زلقة، والصفحة مغوية بالنشر، وإعجاب «فيسبوك» لا يروي الظمأ ولا يشفي الغليل، فهو مثل المياه المالحة، كلما ذقتَه طلبت المزيد. رأينا مرة صورة «الملكنا» في ديار فسبوك مارك وهو يزور مع أهله مزرعة أبقار، فعلق أحد الظرفاء، بقوله: يستمتع بالحياة الطبيعية ويبيعنا لايكات في البحر.

كان أهم أسباب انتصار الملوك المعاصرين ودوام مُلكهم هو معرفة أسرار شعوبهم، وقد اطّلع مارك وجيشه من العاملين في فيسبوك على أخصّ أسرار رعيته على العام والخاص من غير تعذيب في مسالخ السجون، أو مغفرة في غرف الاعتراف، فنحن نعرضها على الناس متطوّعين من أجل حفنة لايكات لا طعم لها، وإن كان لها ألوان كثيرة، بل إنّ تقارير إخبارية أميركية ذكرت أنّ مارك باع بيانات رعيته في الانتخابات الأميركية، بل بلغ من قوة وسائل التواصل الاجتماعي أنها أزرَت بالصحف، فكسدت بضاعتها. وكانت سوق «فيسبوك» من أشيع وسائل التواصل الاجتماعي في سورية ومصر، فالصحف تقدّم مقالات رصينة وطويلة، وتنتظر أياماً للتحقّق من مصدرها وصدقها، بينما تعرض «فيسبوك» أخبار الناس في حينها، وتنشرها حيّة نابضة، وأكاذيب كثيرة، من غير انتظار وتحقيق وأختام وتواقيع، ما جعل أخبار الصحف قديمة. «فيسبوك» جريدة واسعة بلا صفحة أولى أو أخيرة، وتعرض على المتسوّق مقابل وقته ملايين القصص، بل إنّ الكاتب لم يعد يُقرأ إلا بعد أن ينشر مقالته على «فيسبوك» أو «تويتر»، واستغنى الناس عن التلفزيونات الفضائية التي صارت مملة، وما لبثنا إلا قليلاً حتى تقوّضت عروش فسبوك أيضاً، فباتت سوقاً قديمة، وانحسر مُلك مشاهيرها، فصدق فيها الأثر القائل «ما رفع ألله شيئاً إلا وضعه»، وشكا أكثر نجوم «فيسبوك» الحجب وقطع الأرحام الافتراضية، وبناء الجدران العازلة، وهذا دأبُ الطغاة، فهم يريدون رعيةً أسيرة وشفافة مثل أسماك السرمان، يُرى حتى طعامها في بطنها، فنزح أكثر الناس منها إلى ديار جديدة، مثل إنستغرام وتيك توك ويوتيوب.. وهي أوسع، وأقل شرطة، وألطف أحكاماً عرفية، وأزكى قوانين طوارئ.

أما سبب إفراط الناس في المنشورات، فهو أنهم في وسائل التواصل كعُميان أو أشبه بالعميان. لا يرى الناشر الناس، ويرونه، فهو كالأعمى.. وقيل لأبي العيناء: وَيحك مَا أوقحك، فَقَالَ: أما علمت أنّ للحياء شَرَائِط ليست معي وَاجِدَة مِنْهُنَّ، قيل: فصفهن قَالَ: أولهنّ في الْعَيْنَيْن. فالمر ينشر على حسابه ما يشاء؛ طعامه والناس جياع، يسوق سيارته، يراقص زوجته، يشاتم خصومه، ولا يرتوي من الاستعراض، والتفاخر عياناً، وليس في «فيسبوك» أوراق توت للستر.

لقد حولونا إلى أطفال، نغضب بسرعة، نحبُّ بسرعة، ونكره بسرعة. وآن أوان الرحيل عن مرابع الطفولة في ديار «فيسبوك».

أَقفَرَ مِن أَهلِهِ فيسبوك/ وَكُلُّ مَن حَلَّها مَحروبُ.

لماذا اجتمع مديرو المخابرات في الرياض؟

زياد بركات

القليل لكن الخطير يكشفه موقع أكسيوس الأميركي قبل أيام، ويتعلق باجتماع سرّي عُقد في الرياض قبل نحو أسبوعين، وشارك فيه مديرو أجهزة المخابرات في السعودية ومصر والأردن والسلطة الفلسطينية، لبحث الخطط المفترضة لليوم التالي لحرب الإبادة على غزّة، وبحسب الموقع، وُضع كبار المسؤولين الأميركيين والإسرائيليين في ضوء ما دار في الاجتماع، وملخّصه أن على السلطة الفلسطينية أن تقوم بإصلاحاتٍ جدّية تمكّنها من تنشيط قيادتها، وأن هذه الإصلاحات ضرورية لها حتى تعود إلى حكم غزّة، ويفيد تقرير «أكسيوس» بأن هذه الإصلاحات تقضي بتشكيل حكومة فلسطينية جديدة يستحوذ رئيسُها على بعض صلاحيات الرئيس محمود عبّاس، ما يعني تهميش الرجل وربما اعتباره «غير ذي صلة». والوصف الأخير أطلقه الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش على الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات في تلك الحقبة المؤسفة والمؤسية جداً في تاريخ الفلسطينيين، التي انتهت بحصار عرفات، وكانت ترجمتُها منح عبّاس كثيراً من صلاحيات الزعيم الراحل قبل أن يحلّ مكانه، وهو ما يواجهه حالياً عبّاس نفسه، ولا علاقة لذلك بما يوصف بمكر التاريخ، بل بتحوّل التراجيديا الفلسطينية عالية الكثافة إلى ملهاةٍ لا تُضحك أحداً على يد عبّاس.

لا يُعرف لماذا استُبعدت قطر عن الاجتماع، رغم أنها منخرطة بشكل فعّال، وتقوم بدور حاسم في ترتيبات ما قبل انتهاء العدوان، ناهيك عن أنها الأكثر تواصلاً مع حركة حماس (الطرف الرئيسي في المواجهة)، ومع الأميركيين الذين ما زالوا في مسيس الحاجة لوساطتها طويلة النفس في مفاوضات تبادل الأسرى أو سواها. يعطفُ على هذا أنها الدولة الأكثر حضوراً داخل غزّة نفسها من خلال مساعداتها، وصلتها الوثيقة مع طيفٍ واسع من مكونات غزّة السياسية والمجتمعية، وليس مع «حماس» فقط. المسعى المشار إليه استسلام كامل للمقاربة الإسرائيلية، ولا يستجيب للحدّ الأدنى من مطالب الغزّيين، وهم أصحابُ القول الفصل في أي خططٍ تبحث مستقبلهم. وواضحٌ أن اقتراح بسط السلطة الفلسطينية سيطرتها على قطاع غزّة بعد الحرب سيكون وبالاً على هذه السلطة نفسها التي يعرف العالم كله أنها لا تسيطر على مناطقها في الضفة الغربية، بل إنها لا تتمتّع بشرف السيطرة على محيط مقرّ المقاطعة، حيث يقيم عبّاس وفريقه، إذا قررت إسرائيل ذلك.

وعملياً، هذا يعني إحكام سيطرة إسرائيل التي لم يعد رئيس وزرائها يريد عبّاس في مقر المقاطعة، فيدفعه إلى التنازل أكثر لرئيس وزراء بسقف وطني أخفض مما لدى عبّاس، ما يعني زيادة سيطرة إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزّة معاً، وتمهيد الطريق إلى إضعاف السلطة الفلسطينية أكثر مما هي عليه، من دون أن يعني هذا حُكماً أنها ستيسُط سيطرتها على غزّة، بل ربما أن تمضي إسرائيل في خططها لإقامة إدارةٍ مدنية. وسبق للحكومة الإسرائيلية أن بحثت فكرة الحكم من خلال ممثلي العشائر ووجهاء المناطق والأحياء، في قطاع غزّة، وفي الحالتين (سلطة فلسطينية ضعيفة تدير غزّة أو إدارة مدنية) فإننا سنكون أمام سلطة ضعيفة تذهب إلى غزّة من فوق الدبابات الإسرائيلية أو تكرار نموذج روابط القرى، ولا أظنّ أن السلطة الفلسطينية على الضعف البيّن والبنيوي لها ولرئيسها ستقبل بهذه النوعية المهينة من الحلول.

إلى ما سبق، ينسب موقع أكسيوس إلى مستشار الأمن الوطني السعودي مساعد بن محمد العيبان قوله في الاجتماع إن بلاده لا تزال مهتمّة بالانخراط في مسار التطبيع مع إسرائيل، مقابل خطوات إسرائيلية تمهّد الطريق نحو إقامة دولة فلسطينية «حتى لو لم تُنشأ هذه الدولة على الفور»... ماذا يعني هذا؟ دعوة الفلسطينيين إلى إعلان الهزيمة مسبقاً، لعل الدولة الفلسطينية تُعْلَق في سِنّارة اجتماع الرياض أو سواه.

جنوب أفريقيا التي غسلت عجزنا

محمد احمد بنّيس

على الرغم من أن قرار محكمة العدل الدولية بشأن دعوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل بارتكاب إبادة جماعية في غزّة لم يرق إلى ما كان مأمولاً منه، فإن ما يتعلق بطلب وقف فوري لإطلاق النار، فإنّ هذا لا يمنع من القول إنّ القرار كان تاريخياً لأسباب كثيرة، أبرزها أنه فتح أمام الفلسطينيين جبهة القضاء الدولي، سيكون عليهم توظيف مواردها لأجل إثبات عدالة قضيّتهم وفضح مزاعم السردية الإسرائيلية بشأنها. كما أنه كان صفعة سياسية قوية لدولةٍ لطالما اعتبرت نفسها فوق القانون الدولي، مستفيدةً من دعم الدول الغربية الكبرى لها.

يعود الفضل في ذلك لدولة جنوب أفريقيا التي امتلكت الجرأة والشجاعة لرفع هذه الدعوى ضد دولة الاحتلال باتهامها بانتهاك مقتضيات اتفاقية الأمم المتحدة لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها (1948). وتدرك أنها تجازف بمصالحها حين تتجرّأ على جرّ إسرائيل للمثول أمام محكمة العدل الدولية في سابقة من نوعها، فليس من السهل مجابهة اللوبيات الصهيونية المتغلغلة داخل مواقع القرار وشبكات النفوذ والقوة في العالم، غير أن ذلك لم يمنعها من الانتصار لإرثها النضالي والرمزي في مقاومة نظام الفصل العنصري الذي خضعت له بين 1948 و1990، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في محنته، يتعلق الأمر بخبرة تاريخيةٍ ونضالية وثقافية راكمها شعبُ جنوب أفريقيا ونخبه الوطنية عقوداً، وهي الخبرةُ التي أغنتها شخصيةُ زعيمها الراحل نيلسون مانديلا ونضاله المشهودُ من أجل إنهاء نظام الفصل العنصري وإقرار الحرية والعدالة والمساواة في بلاده. لم يسبر مانديلا على خطى معظم من سبقوه من قادة حركات التحرّر والاستقلال في أفريقيا. حين حوّلوا نضالهم ضد الاستعمار إلى عائد سياسي في بناء أنظمة مستبدّة وفاسدة، بل على العكس نجح في قيادة بلاده نحو التحوّل الديمقراطي قبل أن يقرّر التخلي عن السلطة والانسحاب من المشهد السياسي، على الرغم من أنّ الدستور كان يسمح له بالترشّح لولاية رئاسية ثانية.

استدعت جنوب أفريقيا رصيدها الوطني والنضالي من أجل الدفاع عن شعب مظلوم لا تربطها به غير رابطة الكفاح ضد الاحتلال والتمييز العنصري. هذا في وقت كان يفترض بالدول العربية أن تكون سبّاقة إلى ذلك، بالنظر إلى ما يجمعها بفلسطين من روابط معلومة، بالأقل أن ذلك لم يقتصر فقط على الأنظمة والحكومات التي لم تنضم لدعوى جنوب أفريقيا، بل شمل أيضاً منظّمات حقوق الإنسان وشبكاتها وائتلافاتها التي ما فتئت تذكّر الجمهورَ العربي بالتزام مواثيق تأسيسها بكونية مبادئ حقوق الإنسان، وما إلى ذلك مما يُملأ في المنتديات الحقوقية الدولية والإقليمية.

أسقطت مقتلة غزّة آخر الأوراق عن النظام العربي الرسمي الذي خذل سكان غزّة في ما يتعرّضون له من تقتيل وتشريد على يد دولة الاحتلال، وكشفت حقيقته وافتقاده الإرادة لتحريك مستنقع السياسة العربية الآسن، والانتصار، ولو ضمن الحدود الدنيا، للشعب الفلسطيني. لا فرق في ذلك بين أنظمة مُطبّعة وأخرى لم تتوقف يوماً عن الادّعاء، بوقوفها إلى جانب فلسطين «ظالمة أو مظلومة»، في مزايدةٍ سياسية وإعلامية مكشوفة.

وحدها جنوب أفريقيا امتلكت هذه الإرادة وغسلت عارنا حين كلفت فريقاً من خيرة خبرائها في القانون الدولي من أجل جمع الأدلة التي تدين دولة الاحتلال وتوثيقها بحرفيةٍ وكفاءةٍ عاليتيْن، وقدّمت مرافعة تاريخية، تتهمها بارتكاب حرب إبادة جماعية بحقّ سكّان غزّة، وحرمانهم من الدواء والغذاء والماء، والوقود، وتدمير بيوتهم وتهجيرهم. وبذلك ساهمت في فضح دولنا وحكوماتنا المتخاذلة، ودول الغرب ونخبه ومؤسّساته؛ الغرب الذي لا يعني عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى والمشرّدين بالنسبة له، أكثر من مجرّد أرقام يخصّها ببيانات أسف لا أقلّ ولا أكثر، مع تأكيده دائماً على حقّ دولة الاحتلال في الدفاع عن نفسها.

تتراجع الديمقراطية في الهند فتتقدّم حظوظ إسرائيل

دلال البزري

بسرعة فائقة، وعلى وتيرة الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين، تنتشر «نُخرية» تقول إن الغرب الديمقراطي مؤيد لإسرائيل، إذاً، هذا الغرب صاحب قيم بالية، وأولى هذه القيم الديمقراطية. قليلون من مردّدي هذا النوع المتجدّد للكراهية للغرب يشيرون إلى أعطاب أخرى في أنظمتها، مثل الاستغلال الرأسمالي، أو الفردية المقدّسة، أو فقر الحياة الروحية والاجتماعية... إلخ. والغالبية العظمى تصبّ على الديمقراطية وحسب. مصادفة سياق أم ماكينة بروباغندا؟ لا نعلم تماماً. لكن الواضح أنها رائجة وتبدو كأنها في طريقها إلى التأصّل بيننا. نظرية أخرى قديمة، لكنها انتعشت منذ بداية «طوفان الأقصى»، وحاملوها من أنصار إسرائيل الخالصين، بموجبها، كل من يدعم القضية الفلسطينية أو ينتقد إسرائيل هو لاسامي، كاره لليهود، يبغضهم ويريد إبادتهم. لكنّ الهند تكذّب النظريتين، وقد لا تكون استثناء، لكنها دولة صاعدة. هي اليوم خامس اقتصاد عالمي، ومرشّحة لأن تصبح الثالثة عام 2030؛ نمو اقتصادي ناتج إجمالي محلي، شباب وسكان، الأعلى في العالم (مليار وأربعمائة مليون)، دياسبورا غنية وسخية، هي الأكبر في العالم، استثمارات في العملات الرقمية والبنى التحتية وإصلاحات مالية وانتشار عالمي لخدماتها الرقمية والصيدلانية، تاريخياً، كانت الهند في صدارة الدول المتحرّرة من الاستعمار؛ ورئيسها جواهر لال نهرو، يقف إلى جانب عبد الناصر وجوزيف تيتو وشو إن لاي. يؤسّسون معاً حركة عدم الانحياز، بين الجبّارين السوفييتي والأميركي. مع عداء شديد لدن الثاني، أميركا. ومنذ نيلها الاستقلال، رفضت الهند قرار تقسيم فلسطين عام 1947، وبقيت مساندة للقضية طوال السنوات السابقة على انهيار الاتحاد السوفييتي. ومع أن العلاقات بينها وبين إسرائيل لم تكن مقطوعة تماماً، إذ حصلت بعض الاتصالات السرية بين الدولتين طوال ستينيات القرن الماضي وسبعينياته، فإنّ التقارب العلني معها كان نقطة تحوّل بطيء نحو النقيض. نارندرا مودي، الذي يطمح إلى تجديد ولايته «ديمقراطياً»، في الربيع الثاني، وهو الرابح بلا شك، ستكون له عشر سنوات من الحكم على الهند كلها، سبقتها سنواتٌ على التدريب في ولايته التي حكمها أيضاً. ينظم هذه الشخصه على نحو لم يسبقه إليه أي ديكتاتور عادي. يسمّي نفسه «ملك القلوب الهندية»... صورته في كل زاوية، محطّة، مطعم، مقهى، شركة، مؤسّسة، مدرسة، ساحة... ومن الاختراعات الهندية في هذا الميدان أنّ في كل محطة قطار ثمة مجسّماً عملاقاً له، يمكن لكل مارّ أن يقف إلى جانبه، أو في ثغرة مستديرة من المجسّم، أصغر منه بالطبع، ويلتقط صورة «معه». يضخّي بروبيات قليلة من أجلها. لكنه سيدخل بها إلى عائلته سعيداً بغنيمته. مرفق لعبادة الشخصية: حملة منظّمة ضد المثقفين وأساتذة الجامعات والكتّاب والأكاديميين، كلهم علمانيون يساريون، مصر عن المشهد الدولي في كرة اليد. أمّا مظنومة كرة القدم المصرية فهي تعاني عشوائيّة هائلة، تبدأ من منظومة انتخابيّة مشوّهة، تحمل عواراً هيكلياً في نظام التصويت، سمحت لشخصيّات لا علاقة لها من قريب أو من بعيد بالوجود في مجلس اتحاد الكرة، بل وترؤسه، من دون أيّ مبرّر منطقي. ثمّ جاءت موجة «الرسْمَلة» العاتية، المشوبة بفساد كبير، التي اجتاحت الفضاء الكروي المصري في السنوات الأخيرة، لتزيد الطين بلّة، فأسعار اللاعبين المصريين في الدوري المصري الهزيل هي الأعلى في أفريقيا مقارنة بنظرائهم في بطولات دوري على قدر من التنافسيّة، مثل الدوري المغربي أو التونسي، وينطبق الأمر نفسه على رواتب المدرّبين في الأندية المصريّة، سواء كانوا من المحلّيين أم الأجانب. ويكفي هنا أن راتب المدرّب البرتغالي روي فيتوريا، الذي يتقاضى شهريّاً، من دون أيّ مبرّر منطقي، في ظلّ أزمة اقتصاديّة خانقة، مائتي ألف يورو، وهو مبلغ خيالي مقارنة بقدراته المحدودة التي كشفت عنها مباريات المنتخب المصري، كما أن راتبه يُفوق بمراحل راتب مدرّب المنتخب المغربي وليد الركراكي 60 ألف يورو، ووصل بفريقه إلى المربّع الذهبي في مونديال قطر 2022، كما يفوق راتب مدرّب المنتخب السنغالي إليو سيسيه، بطل النسخة الماضية من كأس أفريقيا، 46 ألف يورو شهريّاً والمفارقة الطريفة أن صراع المنافسة في الدوري المصري ليس في القمّة، وإنما في القاع، فمنذ الأسابيع الأولى للدوري، يشهد قاع الجدول صراعاً شرساً بين أكثر من نصف فرق الدوري، من أجل البقاء في الممتاز، والنجاة من شبح الهبوط إلى دوري «المظاليم» (!). طرأ في السنوات الأخيرة، وبالتحديد في الفضاء الكروي، عاملان جديدان، ساهما في تدمير الكرة المصريّة، أولهما «أمننة» المجال الكروي بهيمنة النظرة الأمنيّة على المجال الكروي، بحلّ روابط المشجّعين وتجريم مجموعات ما يُعرف بـ«الألتراس»، ما أدّى إلى تفريغ الملاعب من الجماهير، وإخلاء المدرّجات من المشجّعين، إلا بصورة محدودة بين حين وآخر، ومعلوم أن الحضور الجماهيري هو العامل الأوّل في صناعة القيمة التسويقيّة والاقتصاديّة للكرة، والثاني عملية تسليع الرياضة، و«رَسْمَلة» الكرة التي تفاقمت أخيراً في مصر، في العقد الأخير بصورة بالغة الغرابة، وهو أمر يطرح تساؤلات عديدة عن دورة رأس المال في الصناعة الكرويّة، وهو ما أنتج آثاراً بالغة السوء، تمثّلت في تدمير الأندية الشعبيّة ذات الموارد المحدودة، في مقابل حضور واسع لأندية الشركات والمؤسّسات ذات الظهير المالي الكبير. كما عرف الفضاء الكروي المصري ظاهرة جديدة للإنفاق من دون حدود، مثّلها ذلك المسؤول الخليجي الرفيع، المعروف بعلاقاته الوثيقة بالسلطة في مصر، الذي حاول اختراق المنظومة الإداريّة للنادي الأهلي (يمثّل بمنظومته الراسخة الاستثناء المُضيء الوحيد في كرة المصريّة، فهو الذي يرفع رايتها في المحافل القاريّة والدوليّة، رغم تعرّضه لحملات ممنهجة من الضغوط، ولولاه لسقطت الكرة المصرية منذ أمد في النسيان) ومحاولة إفسادها، لكن محاولته باءت بفشل ذريع، فانسى نادياً أنفق نحو أربعة مليارات من الجنيهات في أقلّ من ستة أعوام، وأشعل أسعار اللاعبين في مصر من دون أدنى مبرّر معقول، ورغم ذلك فشل فشلاً ذريعاً في الحصول على بطولة واحدة. وليس إنفاق الأندية على الكرة متروكاً من دون حدود كما يتوهّم بعضهم، بل هو محكوم بقواعد واضحة محدّدة، فالاتحاد الأوروبي لكرة القدم، على سبيل المثال، وضع قواعد صارمة للإنفاق على شراء اللاعبين، تحقّق قدراً من الشفافية أطلق عليها «اللعب

الموت الفلسطيني... الصمود الفلسطيني

كمال عبد اللطيف

سقط القناع عن القناع/ سقط المتاع./ لا إخوة لك يا أخي/ لا أصدقاء يا صديقي/ لا قِلاع، لا الماء عندك ولا الدواء (...)/ حاصر حصارك (...)/ فأنت الآن حرٌّ. ...
محمود درويش

يتواصل العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، بدعم أميركي غربي مكشوف ومعلن، يتواصل منذ ما يقرب من أربعة أشهر رافعاً شعار إبادة الفلسطينيين، ولا يتردّد الصهاينة في استخدام كل الوسائل الحربية، التي تقرّبهم من هدف الإبادة الجماعية. تحوّلت غزة طوال زمن العدوان المتواصل إلى مقبرة جماعية، إلى محرقةٍ، ولم نعد نرى ونسمع في قطاع غزّة إلا التراب والخراب والدم، مصحوباً بأنين من تتوالى أصواتهم تحت ركام الحجر والتراب. اختلطت أصوات الموت بروائح التراب بالنداءات المبحوحة والأوجاع المؤلمة، التي يعلو صداها ويخفُت، ثم يعلو ويخفُت.. ولم تكتف إسرائيل مع حلفائها بما ذكرنا، بل عملت أيضاً، على وقف الماء والكهرباء والغاز، ووقف متطلّبات التطبيب والعلاج، إضافة إلى منع السفن والقوافل المحمّلة بالمساعدات الغذائية ولوازم التطبيب الضرورية، الأمر الذي أدّى إلى محاصرة من تبقّى من الفلسطينيين داخل مدن غزّة وقراها ومخيّماتها.

تحوّلت غزّة إلى فضاء للأوبئة بعد تهديم أغلب بناياتها، وتهديم مستشفياتها ومدارسها ومنشآتها العمومية... ووسط الجحيم الذي أقامته خلية الحرب الصهيونية الأميركية والغربية، يجد المتابع للحرب القائمة نفسه أمام واحدةٍ من صور الصمود الفلسطيني، التي يصعب وصفها ووصف الأثر، الذي صنعته وتصنعه اليوم في سياق تاريخ المقاومة الفلسطينية، حيث يقف الفلسطينيون أمام آلة الموت الصهيونية، أمام كيان استعماري يرتبط وجودُه بأدوار ووظائف مُحدّدة ومُتحرّكة.. أدوار ترتبط بالمهام التي أنشئ من أجل القيام بها، منذ مطالع القرن الماضي.

نُعاين اليوم في غزّة مظاهر النكبة الثانية، نُعاين المهجّرين والنازحين، كما نُعاين المقابر الجماعية تحت أنقاض خراب البنايات، التي تتعرّض للقصف من السماء ومن الأرض والبحر.. وتواصل الوقوف صامدة أمام جبروت المستوطنين وجنونهم، وقد أصبح من الواضح أن العرب اليوم نفضوا أيديهم من القضية، ومن مختلف صور العدوان الصهيوني، التي تتم بجوارهم وأمام أعينهم، من دون أن يفكّروا حتى في الحدود الدنيا للاستنكار والتنديد بالجرائم التي تحصل أمامهم. أو يفكّروا في تقديم المساعدات التي يحتاجها الفلسطينيون المحاصرون في غزّة، من دون أن نتحدّث عن تفعيل دور جامعة الدول العربية والعمل على تنفيذ قرارات القمة العربية الإسلامية في الرياض أخيراً.

وقفنا في الأشهر الأربعة الماضية على عينة جديدة من صور الموت الفلسطيني، تضاف إلى عشرات صور الموت في الحروب والمعارك، التي توالت فوق أرض فلسطين وبدون انقطاع، الحروب والمعارك التي ساهمت فيها أجيال من الفلسطينيين، وعرفتها المخيّمات الفلسطينية في الأردن ولبنان، كما عرفتها المدن والقرى الفلسطينية أزيد من سبعة عقود، أي منذ أن خَلَّف الانتداب البريطاني النواة الصهيونية المُؤَسِّسة لكيان الاستعمار الاستيطاني فوق أرض فلسطين. كما نقف فيها على كثيرٍ من صور المواجهة والصمود، وقد استطاعت، رغم محدودية عتادها، أن تحوّل عدالة قضيتها إلى سلاح قادر على الوقوف في وجه قِوى الغرب الإمبريالي وسياساته في المشرق العربي. ولم يمنعها منطق ميزان القوى، ومنطق انعدام التكافؤ بين الشباب المقاوم وآلة الحرب، التي في حوزة دولة الاستيطان ومن يقف وراءها وبجانبها، من ابتكار ما يسمح بإمكانية المواجهة. وقد رأينا ما تحقّق بفعل مبادرة طوفان الأقصى يوم 7 أكتوبر، حيث عادت القضية الفلسطينية لتطرح أمام العالم أجمع مشروع التحرير، المشروع الوطني الفلسطيني، وكان الصهاينة قد اعتقدوا أن تدابير الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزّة آخر حلقة في مسلسل السلام، الذي يؤهلهم للتطبيع مع الأنظمة العربية. كشف عمق الرَّجّة التي حصلت بفعل الطوفان للعالم أن الكيان الصهيوني كان وما زال يخطّط لإبادة جماعية لشعب كامل. وترتّبت عن جرائم الحرب التي يُواصل القيام بها الدعوة التي رفعتها دولة جنوب أفريقيا إلى محكمة العدل الدولية، مُطالبة بوقف حرب الإبادة الجماعية. ونحن نتصوّر أن هذه المبادرة والحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية يوم الجمعة الماضي يساهمان في مواجهة جوانب من الأدوار التي يقوم بها الإعلام الغربي، الذي يواصل تكريس السردية الصهيونية في الغرب وفي العالم، سردية الاستيطان والحرب، ويطلق عليها اسم «حماس» وصِفة الإرهاب، مُدّعياً أنه يردّ على «طوفان الأقصى» وأنه يدافع عن نفسه، في وقتٍ يعرف الجميع أنه يستوطن الأرض ويُركّب التاريخ الجديد بقوة الحديد والنار، وحكايات أرض الميعاد وأساطيرها!

> لن تذهب أرواح آلاف الضحايا الفلسطينيين هباءً، ولن تتخلّى المقاومة الصامدة عن مواصلة حضورها المتطوّر والمبدع

لا أحد يستطيع التنبؤ اليوم بنهاية الحرب، خلية الحرب الصهيونية تقرّر مواصلة جنونها وتجريب أسلحتها، وهي لا تخجل من تَقمُّص دور الضحية، تضرب بصورة عشوائية وتَدَّعِي أنها تدافع عن نفسها. تقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتهدم وتحرق متطلّعةً إلى تحقيق الإبادة الجماعية.. وقد أصبحت اليوم مطالبةً بتنفيذ بعض تدابير الحكم الصادر عن محكمة العدل الدولية. أما البرنامج الفلسطيني المطلوب اليوم قبل الغد، البرنامج الداعم للصمود الفعلي القائم، فنتصوّر أنه ينبغي أن يكون في مستوى الفعل المقاوم، الذي أعاد القضية إلى الوجود بعد أن اعتقد الإخوة قبل الأعداء أنها انتهت.

لن تذهب أرواح آلاف الضحايا هباءً، ولن تتخلّى المقاومة الصامدة عن مواصلة حضورها المتطوّر والمبدع، وأول خطوات مواصلة الحضور تتمثل في تركيب الوحدة الوطنية المناسبة لمقتضيات الحال، وذلك بعد سنواتٍ من الانقسام الذي لم يعُد له مبرّر اليوم، أمام كل صُور الموت ومظاهر الخراب.. مختلف الأطراف المُبادرة والصانعة لفعل الطوفان وتداعياته مَدْعُوَّةٌ لتركيب الوحدة الوطنية الجديدة، نقول الجديدة لأننا نعرف أن تأسيس الفعل الفلسطيني المناضل، منتصف ستينيات القرن الماضي، كان يحمل معطيات كثيرة جديدة، ناشئة في قلب إرادة التحرير إذ ذاك. واليوم، وفي ضوء التحوّلات التي عرفتها القضية، وعرفها محيطها العربي والإقليمي والعالمي، ستكون مطالبة، أيضاً، بإنجاز قراءات جديدة لمختلف التحوّلات الجارية في العالم، ومختلف التحوّلات القائمة في الأرض المحتلة، من أجل بناء طريق جديدة لوحدة فصائل التحرير والمقاومة، وبناء طريق الوحدة الوطنية الجديدة، عنوان صمودٍ يضعنا أمام أبواب التحرير، فهل تستطيع القيام بذلك؟

(أكاديمي مغربي)

إسرائيل التي تريد إخراس العالم

سمير الزبن

لا يسعى المحتلّ الوقح إلى تبرير جرائمه بحقّ الشعب الذي يرزح تحت نير احتلاله فحسب، بل ويبتزّ العالم بوصفه كان ضحية يوماً ما، ورغم أنه دولة احتلال فهذا لا يمنع أن يكون ضحية من يحتله أيضاً. هذا ما تفعله إسرائيل، وعلى العالم أن يقرّ للاحتلال بحقه في إبادة الشعب المحتل، لأن هذا الشعب تجرّأ وكشف ثغرةً في أمن الدولة المعسكر التي ترعب المحيط الجغرافي، وكشف أن كل التكنولوجيا المتطوّرة المستخدمة في اعتقال شعب وحبسه ومنع استقلاله، لن تمنع هذا الشعب من تحدّي عنجهية وغطرسة المحتل، والعمل الحثيث على المسّ بأمنه، كما يمسّ الاحتلال يومياً بحياة الفلسطينيين الذين يتعرّضون للقتل والاعتقال ومصادرة أملاكهم وتعذيبهم على الحواجز العسكرية، ومحاصرتهم سنوات طويلة في قطاع غزّة. في الوقت الذي تخوض فيه إسرائيل عدواناً سافراً على الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة، ويدّعي القادة الإسرائيليون أنهم يخوضون حربهم، «دفاعاً عن النفس» ضد «إرهاب حماس» هم لا يقنعون أنفسهم بمشروعية حربهم التي يرتكبون فيها جرائم حرب، ترقى إلى حد الإبادة الجماعية» حسب الدعوى الشجاعة التي تقدّمت بها دولة جنوب أفريقيا إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي. كل المستويات السياسية، من رئيس الدولة إسحق هرتسوغ، إلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، إلى وزير الدفاع يوآف غالانت، إلى المتطرّفين في الحكومة الإسرائيلية، وزير المالية بتسلئيل سموتريش ووزير الأمن إيتمار بن غفير... وغيرهم الكثير. أدلوا بتصريحات تحمل مضموناً عنصرياً وتتضمّن مخططات إبادة جماعة وتهجير جماعي بحقّ سكان غزّة، وهذا ما وثقته بجدارة المرافعة الموضوعية التي تقدّمت بها دولة جنوب أفريقيا في المحكمة. تعمل الإدارة الأميركية على إخراج الوضع المتهاوي الذي فرضته الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة على المنطقة لحفظ ماء الوجه، من خلال إطلاق عملية معقدة، يكون فيها التطبيع بين إسرائيل والعربية السعودية الهدية التي تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل، والتي تحتاج مقابلها إلى اعتراف إسرائيل بمسار طويل للوصول إلى الدولة الفلسطينية، مسار قابل للارتداد، رغم مطلب وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان الذي قال لـ CNN إن المملكة العربية السعودية منفتحة على تطبيع العلاقات مع إسرائيل فقط إذا كانت هناك عملية لا رجعة فيها لإنشاء دولة فلسطينية. طالب الكثير من المسؤولين الأميركيين إسرائيل بأن يكون هدف إنشاء دولة فلسطينية جزءاً من مسار ما بعد الحرب، وجاء الرفض من نتنياهو لأي كلام عن الدولة الفلسطينية كخيار في المستقبل القريب أو البعيد. وعندما حاول الرئيس بايدن تخفيف حدة رفض نتنياهو بالقول: إن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لا يعارض حل الدولتين، مضيفا أن ثمة أنماطاً مختلفة لهذه الدولة، سرعان ما نفى نتنياهو أقوال بايدن. من خلال التجربة التاريخية مع الإدارات الأميركية المتعاقبة، يمكن رصد تراجع الموقف الأميركي المستمر من القضية الفلسطينية، بانحياز فاضح لإسرائيل. ولا شك بأن الحديث عن دولة فلسطينية في مستقبل غير منظور من قبل الإدارة الأميركية، هو بيع الوهم للمنطقة وللفلسطينيين تحديداً، ويتم استخدامه في هذه الفترة لسببين: الأول، لأسباب انتخابية أميركية، فإدارة بايدن مقدمة على انتخابات رئاسية نهاية العام. الثاني، لأسباب تتعلق بترتيب الوضع لعملية تطبيع كبرى بين إسرائيل والمملكة السعودية. أما في الجانب الإسرائيلي فإن رفض الحديث عن مسار دولة فلسطينية لا يتعلق بالمتطرفين في حكومة نتنياهو فحسب، بل هو يشمل كل النخبة السياسية في إسرائيل. والرئيس الإسرائيلي هرتسوغ والمحسوب على التيار المعتدل! دعا إلى تأجيل الحديث بشأن حل الدولتين، قائلا إن «الوقت ليس مناسباً للحديث عن إقامة دولة فلسطينية مستقلة».

> تسود روح انتقام المحتل في إسرائيل، والتي لا ترى الحل سوى بإراقة دماء الفلسطينيين والسيطرة عليهم

ولكن في الوقت الذي يتجاهل فيه الرئيس «المعتدل» الحديث عن دولة فلسطينية، يقول بوقاحة: «ندرك جميعاً أنه يجب أن تكون هناك رؤية، وأعتقد أن جزءاً منها يجب أن يكون العودة إلى عملية التطبيع بين إسرائيل وجيرانها في المنطقة». تسود روح انتقام المحتل في إسرائيل، والتي لا ترى الحل سوى بإراقة دماء الفلسطينيين والسيطرة عليهم، متحدية كل دول العالم التي تدعمها التي ترى أن لا حل دون حل المشكلة الفلسطينية بإقامة دولة فلسطينية. أما إسرائيل فهي ترى على العالم أن يدعمها في حربها على الفلسطينيين، عندما ترمي عرض الحائط برؤية حلفائها للحل، وحتى تتحدى الولايات المتحدة والحامية لها. وعلى العالم أن يخرس عندما يختلف مع إسرائيل، وأن يستمر بدعم جرائمها. وحسب فيرجينيا بيج فورتنا، أستاذة السياسة الخارجية والأمنية الأميركية بجامعة كولومبيا، فإن الضغط الأميركي على نتنياهو «هو فقط الذي يمكن أن يشكل فارقاً في مسار الحرب وليس جزرة التطبيع، نظراً لتصريحاته المعادية لإنشاء دولة فلسطينية»، وغير ذلك سيبقى العالم يدعم الإجرام الوقح.

(كاتب فلسطيني في استوكهولم)

هل تضع الهجرة إلى لامبيدوزا مستقبل أوروبا على المحكّ؟

نجم بو فاضل

تفاقمت الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا من باب لامبيدوزا، الجزيرة الصغيرة في قلب المتوسّط بين شواطئ إيطاليا الجنوبية (صقلية تحديداً) وشواطئ أفريقيا الشماليّة (تونس تحديداً)، التي تحوّلت منذ التسعينيّات إلى مرسى الهجرة المكتومة. الأمر الذي دفع رئيسة الحكومة الإيطالية، جورجيا ميلوني، الصاعدة من حزب يميني إلى التوجّه، منذ بضعة أشهر (في 17 سبتمبر/ أيلول تحديدًا) إلى تلك الجزيرة مصطحبةً رئيسة المفوّضية الأوروبيّة أورسولا فون ديرلاين. وصرّحت هناك بأن «لامبيدوزا تضع المستقبل الذي تريده أوروبا لذاتها على المحكّ، لأن مستقبل أوروبا يرتبط بقدرة هذه القارّة على مواجهة التحدّيات التاريخيّة الكبرى، التي تمثّل الهجرةُ غير الشرعيّة إليها واحدة منها». وإذا بها تطالب بعملٍ أوروبي مشترك يتّخذ إجراءاتٍ حاسمةً ترُدع هذه الهجرةَ قبل انطلاقها، استجابةً لما يطلبه، كما عزّت إليهم، المواطنين الأوروبيين والمهاجرين الشرعيّين واللاجئين الذين يستحصلون على حقّ اللجوء، أبقت طبيعة هذا التحدّي الذي تضعه الهجرة غير الشرعيّة أمام أوروبا طيّ التكهّن والافتراض. تحوّلت جزيرة لامبيدوزا، في سبتمبر/ أيلول من العام 2015، إلى مركز ارتباط ساخن (Hotspot) نتيجة إقرار «المفكّرة الأوروبيّة حول الهجرة» التي خَلُصَت إليها المفوّضية الأوروبيّة في 13 مايو/ أيار سنة 2015. وذلك بعد أن أُنشئ فيها، في 1998، «مركز الإقامة المؤقتة» الأوّل، الذي أُقفل في العام 2011 بسبب الاضطرابات العنيفة والخطيرة التي شهدتها الجزيرة. أبان فرانكو ريتسي (1944–2017)، أستاذ تاريخ أوروبا والمتوسّط، في كتابه «Un mediterraneo di conflitti، storia di un dialogo mancato» (2004)، الذي نقلناه إلى اللغة العربيّة عام 2005 تحت عنوان «المتوسّط ونزاعاته: تاريخ حوار لم يكتمل»، أن الاتحاد الأوروبي لم يغفل، منذ المدماك الأوّل الذي انطلق منه تأسيس هذا الاتحاد فور انتهاء الحرب العالمية الثانية، أعني التنظيم الأوروبي للتعاون الاقتصادي (OECE) الذي تأسّس عام 1948، واتفاقيّة روما (1957) التي بموجبها تأسّست المجموعة الأوروبيّة الاقتصاديّة (CEE)، عن أن المنطقة المحيطة بالبحر الأبيض المتوسّط حفلت على الدوام بنزاعات وتناقضات، فتحتّم على هذا الاتحاد الناشئ اعتماد سياسة تُؤسِّسُ لمسارٍ يفضي إلى ما يُعرف بالاندماج بين البلدان الواقعة على ضفّتي المتوسّط. وقد تكلّل هذا المسار بمؤتمر برشلونة الذي انعقد في 27 و28 نوفمبر/ تشرين الثاني من العام 1995. وهو المؤتمر الذي أرسى مفهوم الشراكة الأوروبيّة المتوسطيّة على مستوى العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. وهو المفهوم الذي يرقى بالعلاقة بين الدول إلى مستوى التعاون المتبادَل، والعمل المشترك، والتكافل والتضامن في المسؤوليّة. انتهى المؤتمر بإعلان برشلونة الذي أراد أن تحلّ سياسةُ الشراكة بين الاتحاد الأوروبي ودول حوض البحر الأبيض المتوسّط محلّ سياسة الإعانة والمساعدة، فحدّد غايات هذه الشراكة، وعيّن آليّاتها، ووضع لها برنامج عمل تَـوَزَّعَ على ثلاثة محاور: يشتغل الأوّل على الجوانب السياسية ويهتمّ بالأبعاد الأمنيّة؛ ويعتني الثاني بالنواحي الاقتصاديّة ويحرص على الشؤون الماليّة؛ أما الثالث فيحيط بالمدى الاجتماعيّ ويسهر على تأصيل حقوق الإنسان والدفاع عنها. وقد بدا هذا المحور الثالث الأكثر تجديدًا، ذلك أنه رأى «أن الحوار والاحترام بين ثقافاتٍ وأديانٍ مختلفةٍ هما الشرطان الضروريّان كي تتقارب الشعوب». بيد أن تعاظم

> مبادرات أوروبا للحدّ من الهجرة مهمّة، سيما التي يدور النقاش بشأنها في الاجتماعات التي تنعقد بين مختلف المسؤولين

الهجرة بعد برشلونة يبيّن أن هذه المسألة تتجاوز حدود هذه العناوين التي أولى تطبيقُها جلَّ اهتمامه للشقّ الاقتصادي، كما ظلّت في محورها الثالث «نصًا نظريًا». مختلف المبادرات التي تتّخذها أوروبا للحدّ من الهجرة مهمّة، سيما التي يدور النقاش بشأنها في الاجتماعات التي تنعقد في هذه الأيام بين مختلف المسؤولين في أوروبا، وأبرزها «خطّة ماتّاي» (Mattei)، وهي خطّة استراتيجيّة لإنشاء شراكة جديدة بين إيطاليا ودول القارة الأفريقيّة على مستوى الطاقة والاجتماع (تبدأ في فبراير/ شباط 2024). لكنها لن تصل إلى نتيجة مرضية ما لم تفصح عن حقيقة الخوف الذي تخلّفه الهجرة إليها. والذي قد يكون ناجمًا، في بواطن الإنسان الأوروبيّ، عن الهجرة الشرعيّة قبل أن يتجلّى في الموقف من الهجرة غير الشرعيّة. وعلى الرغم من أن جميع الخطابات التي تندرج في سياق الجدل المستعر حول الهجرة غير الشرعيّة إلى أوروبا لا يلمّح بإشارة واحدة إلى طبيعة التحدّيات التي تضع مستقبل أوروبا على المحكّ، يستبطن بعضُها الخوفَ من أن العجز عن تحويل المهاجر إلى مواطن أوروبي وصبغه بصبغة المجتمع الأوروبيّ سيؤدّي لا محالة إلى انحلال هذه الصبغة. وهو خوفٌ حقيقيّ ما لم تدرك أوروبا ذاتها وتستنهض القيم المشتركة التي تتحدّد بها هويّتها، وتتثبّت من الأسباب الحقيقيّة الكامنة خلف الهجرة، وتعمل على معالجتها من دون مواربة.

(أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads